أخلاق النبي ﷺ وآدابه

للحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني
المعروف بأبي الشيخ المتوفى سنة (٣٦٩هـ)

دراسة وتحقيق
د. صالح بن محمد الونيان

الجزء الأول

دار المسلم
للنشر والتوزيع

قال تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(صدق الله العظيم)

أخلاق النبي ﷺ وآدابه

١

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب: ١٧٣٥٦ - هاتف: ٤٩٣١١٤٩

القسم الأول

* المقدمة.
* التمهيد.
* الفصل الأول: دراسة عن المؤلف.
* الفصل الثاني: دراسة الكتاب.

المقـــدّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ الله وَحْده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ــ ٧١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ١].

أمـا بـعـد:

فلقد أنعم الله تعالى على أمة محمد ﷺ نِعَماً كثيرة، حيث أكمل لها دينه وأتم عليها النعمة ورضي لها الإسلام ديناً، قال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة: الآية ٣].

ومن نعمه عليها: أنْ منَّ عليها بإرسال محمد ﷺ وأنزل عليه أفضل كتبه وجعلها خير أمة أُخْرِجَت للنَّاس. وقد حَفِظَ سبحانه وتعالى لهذه الأمة دينها عن أن تَعْبَث به يد التحريف، كما عبثت بما قبله من الكتب. قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر: الآية ٩].

وقَيَّض الله لسنة نبيه ﷺ جَهْابِذَة العلماء فحفظوها وميزوا صحيحها من سقيمها، وذلك عن طريق دراسة الإسناد ومعرفة حال رواته، علماً أنَّ الرواية بالإسناد خصيصة فاضلة لهذه الأمة لم تكن للأُمم قبلها ولذلك حُرِّفت أخبار أنبيائها الصحيحة وحَلّ مَحَلَّها كِذْب الدَّجَّالين وانتحال المبطلين. ولذلك قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وحيث أنَّ السنَّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن وهي التي قد بيَّنَت ما أُبْهِم فيه، وفصلت ما أُجْمِل، فإنَّ الاشتغال بها من أجَلّ ما أُنْفِقت فيه أوقات المسلم ليعيش مع أنفاس رسول الله ﷺ بعد أن فاته العيش مع نفسه على حد قول القائل:

أهل الحديث هم أَهْل النبي وإنْ لم يَصْحَبوا نَفْسَه أنْفَاسَه صَحِبوا

وبعد أنْ منَّ الله تعالى عليَّ واتجهت إلى هذا الفن وهو الحديث وعلومه. وبعد أن حصلت على درجة الماجستير ــ التخصص ــ بدأت بالبحث عن موضوع لرسالة الدكتوراه «العالميَّة»، وبعد سؤال العديد من العلماء أهل هذا الشأن، وبعد التقليب في مُدَّخَرات المكتبات من كنوز السنَّة وفَّق الله تعالى في الحصول على كتاب نفيس من ذلك التراث الخالد وهو كتاب: «**أَخْلاَق النَّبِيّ ﷺ وآدابه**، لأبي الشَّيْخ ابن حَيَّان الأصبهاني»، فنظرت في الكتاب فإذا هو نفيس وموضوعه جيد يَهُمّ كل مسلم لأن الله تعالى قال:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١].

فلا يستغني عن الكتاب من أراد التأسي به ﷺ، فبدأت البحث عن نسخ الكتاب، وتم جمعها حسب ما ذكرت في دراسة الكتاب، وتم تقديمه إلى قسم السنَّة وعلومها بكلية أصول الدين بالرياض، وتمت الموافقة على تسجيله، وأعان الله تعالى على إكماله.

الأمور التي دفعتني إلى تحقيق هذا الكتاب

من أعظم الأمور التي دفعتني لتحقيق هذا الكتاب القيم رغبتي الأكيدة بخدمة سنة رسول الله ﷺ والمساهمة في حفظها وكذلك رغبتي في معرفة ما كان عليه النَّبِـيّ ﷺ من الخُلُق الكريم وما كان مُتَحَلِّياً به من الشمائل وبيان ذلك لجمهور الناس ليحملهم ذلك على الاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه والاقتباس من نوره في هذا الزمن الذي كاد كثير من المسلمين فيه أن ينسوا قول الله تبارك وتعالى فيه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١].

ومنهم بعض من ينتسبون إلى الخَيْر الذين زهدوا عن الإئتساء به ﷺ في كثير من هَدْيه وأدبه كتواضعه في لباسه وهَدْيه في طعامه وشرابه ونومه وصلاته وعبادته، بل لقد وجد من الناس في هذا الزمن من يُزَهِّد المتبعين لسنته في اتباعه ﷺ في بعض ذلك كالأكل والشرب جالساً وتقصير الثياب إلى ما فوق الكعبين ويعتبرون ذلك تَشَدُّداً ومُنَفِّراً لغير المسلمين عن الإسلام فنجد من ذلك البعض من لا يبالي مثلاً أن يَجُرّ ثوبه على الأرض، بدعوى أنه لا يفعل ذلك خيلاء مستروحاً إلى قوله ﷺ لأبـي بكر: «لست ممن يصنعه خُيَلَاء» مما يُكِنّ عن الفرق الظاهر بينه رضي الله عنه وبينهم فإنه كان لا يتعمد ذلك كما هو صَرِيْح قوله: «إنَّ أحد شِقَّيْ إزاري يسترخي»، وهم يتعمدون إرخاءه جاهلين أو متجاهلين ما جاء في صفة إزاره ﷺ وأنه إلى نصف السَّاق كما سيأتي في ذكر إزاره ﷺ.

وكأنهم لم يسمعوا قول ابن عمر: مررت برسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء فقال: يا عبد الله ارفع إزارك ــ فرفعته، ثم قال: زده فزدت، فما زلت أتحراها بعد، فقال بعض القوم إلى أين؟ قال: إلى أنصاف الساقين. [رواه مسلم].

فإذا كان النبي ﷺ قال ذلك لابن عمر وهو من أفاضل الصحابة، فهذا يدل على أنَّ هذا الأدب ليس مقيداً بقَصْد الخُيَلَاء وأنه ﷺ لو رأى ذلك البعض الذين يتشدقون بقوله لأبي بكر ــ لأنكر عليهم من باب أولى، ومن الأمور التي دفعتني أنك تجد بعض الناس حريصاً على تطبيق كل ما يسمع مما يُروى عن الرسول ﷺ ولكنه ليس من أهل الصنعة، فقد يتمسك بأشياء لم تثبت عن النبي ﷺ، أو يتأسى بما لا يطلب التأسي به فيه، إما لكونه من خصوصياته أو فعله بمقتضى الطبيعة والجِبِلَّة، فيقع في الخطأ أو العَنَتْ.

وفي هذا الكتاب بينت الصحيح من الحسن والضعيف وشديد الضعف أو الموضوع علّ ذلك يكون مرشداً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطة التي سرت عليها في البحث

قمت بتقسيم البحث إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول، وهو مقدمة التحقيق، وقد أودعتها ما يلي: «مقدمةً، وتمهيداً، وثلاثة فصول»:

أمـا المقـدمـة:

فتتضمّن أهمية الموضوع وسبب اختياره.

وأمـا التـمـهيـد:

فيتضمّن تعريف الأخلاق والآداب والشمائل في اللغة والاصطلاح.

وأما الفصول:

الفصل الأول: فقد حققت الفصل الأول للدراسة عن المؤلف من حيث:

١ ــ عصره من الناحية السياسية.

٢ ــ عصره من الناحية الاجتماعية.

٣ ــ عصره من الناحية العلمية. وبيان أثر تلك النواحي على المؤلف قوة وضعفاً.

٤ ــ اسمه ونسبه وأُسْرَته. مبيناً أن أبا الشيخ لقب له لا كنية.

٥ ــ مولده.

٦ ــ طلبه للعلم ورحلاته.

٧ ــ أعماله التي قام بها على حين أني لم أجد فيما اطلعت عليه أعمالاً تولاها غير نشر العلم.

٨ ــ أهم شيوخه الذين لهم أثر بارز في حياته العلمية.

٩ ــ أبرز تلاميذه.

١٠ ــ مكانته العلمية.

١١ ــ أهم مؤلفاته وبيان موضوع كل كتاب والتعريف به.

١٢ ــ وفاته.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب.

وتشتمل على:

١ ــ تسمية الكتاب وتحقيق نسبته إلى المؤلف.

٢ ــ موضوعه.

٣ ــ منهج المؤلف فيه: ويشمل:

(أ) تبويب الكتاب.

(ب) سياق الأسانيد والصناعة الحديثية في ذلك.

(ج) سياق المتون والصناعة الحديثية في ذلك.

(د) منزلة الكتاب بين المؤلفات في موضوعه مع مقارنته بها.

(هـ) درجات الأحاديث فيه عموماً.

(و) المآخذ على الكتاب وتحقيق النظر فيها.

وأما الفصل الثالث: فقد أوضحت فيه منهجي في التحقيق معرفاً بالنسخ المخطوطة والمطبوعة التي اعتمدت عليها مبيناً ميزة أو عيب كل نسخة على حدة، وكيفية دراسة الأحاديث، ولم أغفل في النهاية أن أنقل للقارىء صوراً من بعض صفحات النسخ المخطوطة لاطلاع القارىء عليها وإدراك مدى ما يعانيه المشتغل بفنون تحقيق المخطوطات ودراستها بالإضافة إلى ما يلي:

١ ــ مقابلة النسخ الخطية بعضها ببعض وإثبات الفروق بينها والسقط والتحريف.

٢ ــ تخريج الأحاديث الموجودة في الكتاب من كتب السنَّة الأصلية محاولاً استقصاء ذلك ما استطعت إليه سبيلاً.

٣ ــ الحكم على الحديث من خلال دراسة إسناده حسب قواعد الجرح والتعديل مع البحث عن المتابعات والشواهد لكل حديث محاولاً استقصاء ذلك.

٤ ــ بيان أهم ما يؤخذ من الحديث من فوائد واقتصرت في هذا على ما قد تخفى على البعض الفائدة منه، وأما بعضها فالحديث نفسه فائدة يستطيع الكل معرفتها بعد النظر إلى درجة الحديث.

٥ ــ شرح الكلمات الغريبة.

٦ ــ التعليق على العبارات والمتون التي تحتاج إلى ذلك.

٧ ــ الجمع بين الحديثين إن كان ظاهرهما التعارض.

٨ ــ التعريف بالأماكن والبلدان.

٩ ــ قمت بتصحيح الأخطاء الموجودة في المطبوعة أو المخطوطة، وذلك من خلال كتب التخريج مشيراً إلى ذلك.

* * *

القسم الثاني: الكتاب محققاً

وقد ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث، ثم زودت الكتاب بالفهارس التالية:

١ ــ فهرس الآيات.

٢ ــ فهرس الأحاديث مرتبة هجائياً.

٣ ــ فهرس التراجم والأعلام.

٤ ــ فهرس الأماكن والبلدان.

٥ ــ فهرس المصادر والمراجع.

٦ ــ فهرس الموضوعات.

وفي نهاية هذا البحث لا يسعني إلاَّ أن أتقدم بالشكر لله سبحانه وتعالى على ما منَّ به من تسجيل هذا البحث وإكماله، ثم لا يسعني إلاَّ أن أتقدم بالشكر والعِرْفان لكل من ساعدني على إخراج هذا البحث بهذه الصورة.

وأخص بالشكر فضيلة شيخي الأستاذ الدكتور محمد أديب الصالح الأستاذ في جامعة الملك سعود بالرياض الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذا الجهد وجاد بوقته رغم كثرة مشاغله وأعبائه، فله مني جزيل الشكر والدعاء بالتوفيق.

كما أشكر من أعماق قلبي مشائِخي وزملائي الذين ساعدوني بالرأي أو بالعثور على كتب أستفيد منها، وأخص بالشكر أخي الشيخ عبد الله الرشيد الذي ساعدني بإحضار نسخة تركيا فله مني الدعاء بالتوفيق والسداد على ما قدم من مساعدة كما أشكر كلية أصول الدين وقسم السنّة وعلومها على ما وجدته منهم من

مساعدة، كما لا أنسى أن أشكر جامعتنا العريقة على رعايتها للعلم الشرعي وحرصها على إخراج كنوز التراث الضخم.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا أنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

د. صالح بن محمد الونيان

التَّمْهِيد

تعريف الأخلاق:

الخُلُق يُطْلَق على كل صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير تكلف، كالكرم يصدر عنه الإعطاء بِلاَ عَناء، والحِلْم يستدعي مصابرة السفيه والعفو عن المسيء، والحكمة تقتضي وزن كلٍ بميزان المصلحة، وعَرَّف بعضهم الخُلُق بأنه العادة في الإرادة، فتعود العزم على منازلة العدو كلما أوقد حرباً يسمى خُلُق الشجاعة، والخُلُق يقال للمكارم والمساوىء، كالبخل والسَّفَه والجُبْن وغيرها من الرذائل.

وقد حثَّ النبي ﷺ على حُسْن الخُلُق وهو أحسن النَّاس خُلُقاً، كما ورد في الحديث الصحيح.

ومن محاسن الأخلاق: الصِّدْق، والشَّهَامة، والنَّجْدة، وعِزَّة النفس، والتواضع، والتثبت، والعفو، والبشر، والرحمة، والحكمة، والشجاعة، والوقار... إلخ.

ومن مساويها: السَّفَه، والرِّيَاء، والغِيْبَةِ، والنميمة، والتبذل، والغَدْر، والحُمْق، والكذب، والجهل، والمكر، والخُبْث، والطَّيْش، والحِقْد، والحَسَد[1].

---

(١) الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخولي (ص ١٢٧ ــ ١٢٨).

تعـريف الآداب:

قال العلماء: أصل معنى كلمة أدب في اللغة «الجمع» ومنه الأدب، بمعنى الظرف، وحسن التناول، سُمِّي أدباً لأنه يأدب ــ أي يجمع الناس إلى المحامد، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عند الفقهاء عن المعنى اللغوي، فللأدب عند الفقهاء والأصوليين عدة إطلاقات:

قال الكمال بن الهُمَام: الأدب الخِصَال الحميدة[1]، ولذلك بَوَّبُوا فقالوا: «أدَب القاضي» وتكلموا في هذا الباب عَمَّا ينبغي للقاضي أن يفعله وما ينبغي أن ينتهي عنه، وكذلك قالوا: آداب الاستنجاء، وآداب الصلاة، وعرفه بعضهم بقوله: الأدب وضع الأشياء موضعها[2].

وقال بعضهم: المراد بكلمة آداب ــ كل ما هو مطلوب[3].

(١) فتح القدير (٥/ ٤٣٥)، طبعة بولاق، سنة (١٣١٦هـ).

(٢) حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح (ص ٤١)، طبع المطبعة العامرة العثمانية، سنة (١٣٠٤هـ).

(٣) الموسوعة الفقهية (٢/ ٣٤٥)، طبع ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

الفصل الأول

دراسة عن المؤلِّف

ويشتمل على:

١ ــ عصره من الناحية السياسية.

٢ ــ عصره من الناحية الاجتماعية.

٣ ــ عصره من الناحية العلمية.

٤ ــ اسمه ونسبه وأسرته.

٥ ــ مولده.

٦ ــ طلبه للعلم ورحلاته.

٧ ــ أعماله التي قام بها.

٨ ــ أهم شيوخه الذين لهم أثر بارز في حياته العلمية.

٩ ــ أبرز تلاميذه.

١٠ ــ مكانته العلمية.

١١ ــ أهم مؤلفاته.

١٢ ــ وفاته.

الفصل الأول
دراسة عن المؤلِّف

ـ ١ ـ
عصره من الناحية السياسية

من المعلوم كما أشارت المصادر أنَّ أبا الشيخ الأصبهاني رحمه الله عاش في أواخر القرن الثالث إلى ما بعد منتصف القرن الرابع وبالتحديد من عام (٢٧٤هـ)، إلى (٣٦٩هـ)، وهذا العصر تعارف المؤرخون عليه بالعصر الثاني من عهد الخلافة العَبَّاسِيَّة والذي يبتدىء من عام (٢٣٢هـ)، عهد المتوكل إلى عهد المُقْتَدي سنة (٤٦٧هـ)، كما أن ذلك العصر يعتبر بحق عَصْر الضَّعْف والوَهْن للخلافة، إذ بدأت فيه الخلافة العباسية تفقد قوتها وتضعف شوكتها على عكس ما كانت تتمتع به في عهدها الأول من حيث القوة، وبدأ الضعف يَدِبّ في جسم الخلافة ويسري يوماً إثْرَ يوم حتى آل الأمر إلى انقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة اسْتَبَدَّ بها الأمراء والسلاطين وظل الضعف يزداد حتى لم يبق في يد الخليفة العباسي سوى بغداد وأعمالها ولاية بدون سلطة، فالسلطة الحقيقية فيها للبويهيين دون الخليفة، فليس له من الأمر شيء سوى أنَّه يوقع على الأوامر تمويهاً على النَّاس فيصبح لها صفة الرَسمِيَّة، وقد ذكر المؤرخون ما آل إليه الأمر من الانقسام والضعف.

قال الخُضَرِي في محاضراته: في فصل «إجمال القول في الدولة العباسية بعد أن ذكر بدء الدولة العباسية في النزول من عام (٢٢٢هـ) إلى (٢٣٤هـ). قال: جاء

بعد ذلك دور ثالث من (٣٣٤هـ) إلى (٤٤٧هـ) ليس للخليفة فيه إلاَّ اسم الخلافة، والسلطان الفعلي لأمة فارسِيَّة هي الأمة الدّيْلَمِيَّة التي يمثلها السلطان من بني بُوَيْه يقيم ببغداد فصار الخليفة كأنه موظف لهم يتناول منهم ما يقوم بأوْدِه وليس له تصرف ولا نفوذ يؤمر فيأتمر ويفعل ما يراد منه لا ما يريد وليس له على نفس المالكين شيء من السلطان الديني لمباينته لهم في العقيدة. . . إلخ[١].

ويصف ابن الأثير ما وقع من انقسام في الدولة العباسية حيث قال: كانت البصرة في يد ابن رَائِق ــ وخَوْزِسْتَان في يد «البريدي» وفارس في يد عماد الدولة ابن بُوَيْه وكَرْمَان في يد أبـي علي محمد بن إلياس، والرَّيّ وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بُوَيه، ويد وشِمْكير أخي مرداويج يتنازعان عليها، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حَمْدان، ومصر والشام في يد محمد بن طُغْج، والمغرب وإفريقية في يد أبـي القاسم القائم بأمر الله من المهدي العَلوي، وهو الثاني منهم، ويلقب بأمير المؤمنين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد السَّامَاني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبـي طاهر القُرْمُطِي[٢].

وكما ذكر ابن الأثِيْر ذكر ابن كَثِيْر أيضاً في البداية والنهاية وذكر وقوع مجاعة عظيمة، وغلاء عظيم، وفناء. مات فيه من أهل أصبهان نحو من مائتي ألف[٣]. . . إلخ.

وإلى جانب ضعف الدولة العباسية وانقسامها تحرك أعداء الإسلام للنيل من

---

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٨/ ٣٢٣ ــ ٣٢٤).

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (١١/ ١٩٦ ــ ١٩٧).

(٣) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، للخضري بك (ص ٣٥٣)؛ والكامل، لابن الأثير (٨/ ٢٠٧).